

غيات الأخرس لـ«الوطن»: المركز مفتوح لكل الشباب لكننا نراعي شرط الجودة فلا نعيد إنتاج المُنْتَج

إ | عامر فؤاد عامر

يعد رائد فنّ الحفر المطبوع في سورية، وهو الأبّ الحقيقي لانتشار هذا الفنّ وتدريبه وإطلاق الأسماء التي عنيت بهذا الفنّ وعملت في ميدانه. درس في مصر وفرنسا وإسبانيا، وتفرّغ لهذا الفنّ في سورية منذ أكثر من نصف قرن من الزمن. فكان رئيس شعبة الحفر والطباعة ما بين عامي ١٩٦٤-١٩٧٨ في كلية الفنون الجميلة في دمشق. الفنان «غيات الأخرس» صاحب التجربة الغنيّة في فنّ الحفر تقيّاً وتعبيراً، المتابع لكل تطوّرات هذا الفنّ في عالمنا، وصاحب البصمة الخاصّة في لوحته التي اهتمّ من خلالها بواقع الإنسان السوري والعلاقة مع بيئته، فجملت لوحته بين تطوّر فنّ الحفر عالمياً، وبين الخصوصية السورية، وهي حكاية يمكن ملامستها منذ ستينيات القرن الماضي وإلى يومنا هذا. من مميّزات لوحة الفنان «غيات الأخرس» أيضاً أنها متنافضة برموز الحضارة السوريّة ففيها من حضارات وادي الرافدين، وفيها من معلولا، ومن البيت الدمشقي، ومن لغة الأمل الخاصّة بالإنسان السوري، وفيها حكايات لونية تدرّجت من الأبيض والأسود إلى الألوان الدهشة، وآلية استخدامها في المكان والزمان المناسبين. ما يميّز لوحته أيضاً محافظتها على أصالتها، وعلى جماليّتها، من دون التأمّر بالتوسّع التكنولوجي، الذي غزا الفنون كلها ولاسيما فنّ الحفر. واليوم يشغل الفنان «غيات الأخرس» إدارة المركز الوطني للفنون البصرية في دمشق، ويعمل على تقديم فضاء سوري يحتمل كل أنواع الفنون ليستمر بأفق عالمي يقدم كل اللغات الراقية من خلالها، وعن هذه التجربة يحدثنا في هذا اللقاء.

ثقافة العمل الجماعي غير متوافرة لدينا

المركز الوطني للفنون البصريّة

غير موجودة حتى في أوروبا، ولا أميركا، ولا في أي مكان في العالم، هذا ليس كلاماً في الهواء بل حقيقة موجودة. فمثلاً التصوير والنحت والحفر والتصميم والإعلان وغيرها من الفنون يمكن أن توجد كلها معاً من دون أن يضيق شخص الآخر. ومنذ إنشائه المركز وإلى اليوم تجاوزنا الفنانين ورشة عمل. والرؤية العامة للمكان، هي أن يمنح الشباب المكان الخاص بهم، للعمل والتدريب، وبمساحة حرّة، فيها الجوار والعمل والمنافسة، وفي النهاية خلق شاب مبدع حر، وهكذا كان، فالحوارات مستمرة بيننا وبين هؤلاء الشباب في جو متناغم وفي فضاء واحد.

في العام ٢٠٠٨ عملت كثيراً على تقديم الدراسة، من أجل تأهيل الأماكن الخاصّة بالعروض الفنيّة، لتكون كما يجب، وضمن المواصفات والشروط العلميّة والفنيّة المطلوبة. فقد كنت أفكر أن استجب من متحف الفنون الحديثة من باريس مجموعة من العروض الفنيّة لعرضها في احتفالية دمشق عاصمة للثقافة، ولكن لم يتم هذا المشروع للأسف، لأنهم أرادوا إرسال مختصّين لدراسة شروط الأماكن التي سيتمّ عرض هذه العروض الفنيّة لعرضها في احتفالية دمشق وتحثّاج إلى حرارة محددة، ولكن في الحقيقة كنا لا نمتلك أبداً متاحف أو أماكن خاصّة مثل هذه العروض، وبمواصفات علميّة وفنيّة، فتمّ إلغاء الموضوع كله، ومنذ ذلك الحين وضعت الفكرة في البال. عند انتهاء العام ٢٠٠٨ جاء تكلفي بإنشاء المركز والإشراف عليه، وقررت أن أقدمه بمعايير دولية، من حيث الرطوبة والحرارة والإضاءة ونوعية الإضاءة المنسقة على اللوحة، ومن حيث التصوير من الكاميرات الداخلية والخارجية، بحيث حتى لو لمس زائر لوحة ما يتم إرسال إشارة صوتيّة تفيد بهذا الأمر، ولاسيما أننا هنا كثيراً ما تلاحظ رغبة الناس بلمس اللوحة أو المجهّم حتى من دارسي الفنّ أنفسهم. مع أن هذا الأمر غير وارد في بلاد أخرى ولا يجوز أصلاً، وأي صالة فنيّة موجودة اليوم في أوروبا تكون مكتملة بكلّ هذه المعايير، ولذلك أشير بأن المركز مجهز بكلّ هذه الأمور التي هي غير موجودة في الشرق الأوسط كله، وبالتالي كان مشروع المركز ليس عبارة عن صالة أو غاليري للعرض فقط بل هو مكان يحمل بعداً ثقافياً عاماً متعدد النشاطات الثقافيّة والفنيّة. ما بين المعارض وورشات العمل والنشاطات الحواريّة التي تحضن العناوين الساخنة، والمسرح ونشاطاته والموسيقا والحفلات والنشاط السينمائي، وكلّ الأمور مرتبط بعضها ببعض الآخر ضمن جو ثقافي متكامل، فهناك أفلام وعروض متحركة ليست كالمصالات التقليدية، وورشات في العمل السينمائي، وعروض للسينما التجريبيّة للشباب، والمسرح لدينا هو مسرح تجريبي وشبابي وتقدي وغيره، إضافة للتعاون مع جميع المؤسسات التي تعنى بارتقاء الحالة الفنيّة وتنظيمها في سورية كدار الأوبرا مثلاً.

● كيف أحدث المركز الوطني للفنون البصريّة؟
كان المكان عبارة عن مدخل لكتبة الفنون الجميلة في دمشق، وكان قاعة كبيرة واسعة ومهملة، ولا فائدة من كل هذا الكبر والانساع، وفي أحد مشاريع التخرج للطلاب في الكتبة، دعى السيد الرئيس «بشار الأسد» وعقيلته، لحضور هذه المناسبة، وكانت عروض التخرج منسقة في هذا المكان، وبالتالي كان هناك ملاحظة بأنه لماذا لا يقام مكان خاص بعروض التخرج أو صالة تتناسب مع هذا الأمر، ومنجم السيد الرئيس الإجراءات المناسبة والميزانيّة المطلوبة لإنجاز صالة كهذه. وهنا سأذكر أمرين بأنه يمكن إيجاد معماري يستطيع بناء «قبلا» لكنه لا يستطيع أن يبني برجاً، أو متحفاً على سبيل المثال، وهناك معماري يستطيع أن ينظم معارض كثيرة وكبيرة، لكنه لا يستطيع وضع لمسات خاصّة لـ«قبلا» واحدة، فالاختلاف موجود في الرؤية الثقافيّة وهو أمر طبيعي، طبعاً بدأ العمل في كتبة الفنون الجميلة لإنشاء مثل هذه الصالة، طلب مني أن ألقى نظرة على المكان وإيلاء الرأي في العمل المتخّز. زرت المكان وكان فيه نحو ٢٠ شخصاً، وتفحصت العمل المتخّز ثم بعد ما سافرت إلى فرنسا، وهناك فقرت كثيراً في هذه الخطوة، ومنحتها بعدها الثقافي الشامل والمهني، من حيث صالة عرض لها هدفها، ثم أرسلت تقريراً حول ذلك كله، وكان هناك فاصل زمني ما بين شهرين أو ثلاثة أشهر، ولدى عودتي من السفر تلقيت اتصالاً بتكلفي إدارة المكان من حيث التصميم والإشراف والجامعة هي المسؤولة عن كل ذلك.

● ما رؤيتك الخاصّة لهذا المكان وما الخصوصية التي وجدتها في إقامته؟
رؤيتي كانت مختلفة عما أرسل إليّ، فقد كان المخطط شيئاً، وبعد التفكير في المشروع أصبح شيئاً آخر، فلا مثل له في منطقة الشرق الأوسط ككل، وذلك من حيث الشكل والمضمون. فلدينا مساحة ١٣٠٠ متر مربع مفتوحة، وبدأت بطرح المشروع من ثلاث زوايا هي «المكان أو الفضاء، واللوحة والإنسان»، وبنيت الفضاء كله على هذا الأساس، وبأن واحد كيف يمكن تحريكه في معرض أو اثنين أو ثلاثة، وذلك لنسب مساحة أكبر، وفي الطابق السفلي، كان هناك مكان كبير مهم، فعملت على تنظيحه واستخدامه ليكون مكاناً لورشات العمل الفنيّة، والمكان بمساحة ١٠٠٠ متر مربع للورشات في ٦ أنواع من الفنون في اختصاصات

المركز الوطني للفنون البصرية... فضاء سوري لجميع الإبداعات الفنيّة



على فئة أو نوعية محددة بل هي للجميع، ولها معاييرها. ● من يوم الافتتاح إلى اليوم ما النشاطات التي قدمها المركز؟

بعد الانتهاء من تأسيس المركز في عام ٢٠١١ لم يكن المركز مؤهلاً بالموظفين، فقد كنت أنا والمحاسب فقط، بعدها تأخرنا مدة عامين ربما يظهر النظام الداخلي من رئاسة مجلس الوزراء، ونشره في الجريدة الرسميّة، وبالتالي هذا الأمر لا بد أنه حمل مزيداً من التأخير لانطلاق المركز بنشاطاته، لكنني أخذت على عاتقي مسألة إقامة ٤٨ ورشة عمل، فالمرکز له صورة حضاريّة، لكن بعد ذلك استمرت ورشات العمل لتحتوي كل واحدة منها مايقرب من ٥٠ شاباً والمواد على حساب المركز من حيث التكاليف حيث لا يدفع الشاب المشارك أي شيء، وتكون الورشة تحت إشراف الأستاذة، ليكون هناك حوار فني حقيقي. تمّ اقتناء ٧٠ عملاً من أعمال الشباب تمّ عرضها في يوم الافتتاح في نهاية ٢٠١٥ وبعد الافتتاح أصبح لدينا كعدد أكثر من ٧٥ ورشة عمل. وبدأت التحضيرات لكثير من النشاطات والمعارض والنشاطات الحواريّة حول الحركة التشكيليّة، وحفلات الموسيقا مع المايسترو «ميساك باكابويديان»، والمايسترو «عدنان فتح الله» وغيرها، وحوار بين كل شباب ورشات العمل، وأين وصلنا، وكثير من النشاطات الأخرى، ولدينا معرض حول الأفيشيات للمعارض في سورية، من أيام معرض دمشق الدولي إلى اليوم. ولدينا عرض لقطع الآثار المسروقة التي تمّ استرجاعها، وذلك بالاتفاق مع المتحف الوطني مع شروحات عن الأمر، وعملنا عليه مع الدكتور «مأمون عبد الكريم»، مدير عام مديرية الآثار والمتاحف.

● ما النشاطات القادمة التي تحضرون لها أيضاً؟
معرض للشباب نحو ٦٠ شاباً لأعمالهم الفنيّة وابتقاء نوعي، والسماح لمن لم يعمل في ورشات العمل التي أقامها المركز وخاصّة الشباب من المحافظات الأخرى، الذين لم يتمكنوا من القدوم إلى دمشق. وهناك نشاطات أخرى في التعريف عن المركز، فقد انتشرنا خارج الوطن أكثر مما انتشرنا داخله. فثقافة العمل الجماعي غير متوافرة لدينا اليوم مع كل أسف.

● كيف تنتقي موظفيك اليوم في المركز؟
لدينا مكال إداري بعدد ٣٣ موظفاً، لكنه ملاك غير كامل بسبب عدم توافر الموظف المناسب للمركز، فأننا أريد شيئاً وشيأتين يكرهون مع المركز ويشعرون بالانتماء الحقيقي له، ويكونوا حريصين على برامج العمل فيه، وقد انتقيت قسماً مهماً من الموظفين الجيدين، وأنا حزين جداً في هذه المسألة، لسبب هو أن يكون الموظف خريجاً من كليات الفنون أو قريباً من الفنون، حتى يستطيع الانسجام مع العمل ولا يشكل حالة غير متوافقة مع زملائه، واليوم الجميع في المركز هو من هذه الصبغة، بالتالي هناك اعتناء بهذه المسألة، والنتيجة التي أراها اليوم جيدة، بسبب هذه الثقة في الانتقاء، فكتبت وما زلت مصراً على هذه النوعيّة. والمركز له شخصيّة الحرّة الاعتباريّة المستقلّة إدارياً ومالياً، والمركز داعم لكتبة الفنون الجميلة، وليس فقط نشاطه يتمحور في العرض وورشات العمل؛ بل في دعم طلاب كتبة الفنون الجميلة. وهو كتلة واحدة مع كتبة الفنون.

● إلى أين تطمح في ارتقاك بالمركز؟
لا يوجد اليوم مكان ثقافي يجمع المسرح والمعرض والموسيقا وغيرها؛ كما يجمعها المركز الوطني للفنون البصريّة. إضافة لنوعية النوات الحواريّة، فهي ليست محاضرات وحسب فالمحاضر والجمهور يتحدّثان معاً. ولدينا اليوم ٣٠ ندوة تعمل من خلالها على حركة فكريّة في مواضيع مهمّة، تحصّل الفنّ التشكيلي، والنشاط الثقافي، والابتعاد عن الشلليّة والفردية، ويسعى المركز إلى إعلاء أهداف المركز في لغة تعاون بعيداً عن الأنانية، وهذا الأمر يحتاج إلى هدوء حتى يكبر وينمو. ولدينا ورشات عمل تحصّل الأطفال وتعنتي بخواصهم، وهناك مجموعة من المؤسسات تتواصل معنا بهذا الشأن. وهناك ورشات عمل قادمة سيشارك فيها أشخاص من دول عربيّة وأجنبيّة.

لا أجد تعاوناً واضحاً من الجهات الإعلاميّة حول النشاطات التي يقوم بها المركز. ولا أعلم لماذا؟! أمّا عن الجو التشكيلي والجغرافيّة التشكيليّة فقد باتت كثيراً، وتمّ التعنيم على نشاطات مهمّة للغاية. لكن لا يهمني اليوم أن أفتح جبهة صراع حول هذا الأمر بقدر أن أفتح الباب أمام مزيد من الشباب ليتعلموا ويصقلوا مواهبهم في هذا المركز، وما يهمني أن يشغلوا ويقدموا نتائج مهمّة، وأيضاً النمو بهدوء والابتعاد عن السرعة والاستعراض. بدأنا على مهل في معرض افتتاحي، وتعبننا كثيراً حتى أقدم، فالظروف صعبة جداً، وعملت على تكبير دائرة الشباب، ليكون لدينا أصدقاء للمركز داثمون، وعملنا صفحة مدهشة عن المركز في موقع الفيسبوك، وانتشرنا قليلاً من دون الالتكال على الدعايّة. وعندما زار الوفد الفرنسي سورية كانت الصحف والكاميرات تنتقل معهم في كل مكان إلا في المركز الوطني للفنون البصريّة؛ فلم ألحظ وجود إلا مراسل وحيد من وكالة سانا، ولم يتم تغطية الحدث كما يجب.

الجو الفني التشكيلي حمل محاربة لنا، فالمرکز فيه رؤية حرّة ولا اعتبار للمناصب والألقاب لدينا، وهذا لا يلتقي مع أهداف المركز، ولا يمكن إذا اتبع المركز هذه الخطوط أن يحل علاقة جدليّة تطويريّة خاصّة بالمركز وتخدم الوطن. وهناك قسم من الفنانين التشكيليين في البلد أخذوا موقفاً من المركز ولم يعرضوا لدينا أبداً، وهم رافقوا أن المعارض لدينا ستفشل، لكنهم دهموا في معرض الافتتاح المقام في تشرين الثاني من العام ٢٠١٥ وحمل فنانين شباب كثر، وزارنا جمهور كبير، وأرسلت دعوات لكل المنابر الإعلاميّة لكنني لم ألحظ وجود إلا جهتين منهما فقط. هذا الأمر تكرر كثيراً حتى على صعيد مؤسسات كثيرة منها جامعة دمشق ولا أعلم سبب عدم الحضور.

● اليوم حق العرض والمشاركة في الورشات مفتوح للشباب، ولكن ما النوعيّة التي يمكن أن تشارك في المركز الوطني للفنون البصريّة؟
المركز مفتوح لكل الفنانين، ومفتوح لكل القطاعات الثقافيّة، ولكن في الشرط أو المعيار الأول لا بد أن نراعي «الجودة»، فلا نريد إنتاج ما هو منتج سابقاً، وهذا ما يعتني به المركز وشخصيّة في النوعيّة التي يراعيها، فالموضوع لدينا ليس إعادة إنتاج ما أنتجه الآخر بل نبّحث خلال ورشة العمل على ما أنتجه الشباب، فإذا كان هناك شباب غير موهوب في الورشة «ولاسيما طلاب السنة الرابعة من كتبة الفنون الجميلة»، لا يتاح لهم العمل في الورشات من جديد، والسبب في ذلك أن المركز ليس تعليمياً، بل تحريضي ويحمل استفزازاً إيجابياً بين الند وبذء الآخر، وهكذا يمكن إنتاج شيء جديد، وليس الأمر متاحاً للاستعراض والكلام فقط، بل وجود مواضيع تثير المنافسة، وتحرض الشاب على العطاء. ولذلك يهتم المركز بالنوعية، وقد جاءنا عرض من النمسا لتعاون معنا في ورشات العمل، وكذلك من كتبة الفنون في ألمانيا، وهذا بسبب انتشار سمعة العمل لدينا، والهويّة البصريّة في المركز خارج الوطن، وهذه الثقافة غير محتكرة

وكالات أنباء، وكانوا مندهشين، وعندما زاروا ورش العمل في الطابق الأرضي دهموا أيضاً، وقالوا إنه لا يوجد ذلك في فرنسا كورش عمل بهذا الحجم! فنحن نعرض على وجوههم جميعاً، فهناك ضياع حتى في إمكانية حصر المكان بتسمية مركز أو متحف أو صالة عرض أو غيرها، وتزامنت الزيارة مع إقامة معرض فني فكان اندهاشهم نابعاً من أن هناك حركة تشكيليّة فنيّة بعيدة عنهم، وقد دخلوا إلى فضاء ثقافي يهيمهم ويشبههم، وليس زيارة آثار قديمة تحضن المكان، وسألني رئيس الوفد الصرح الثقافي الفني، وعنت أمل أن نترجم هذه الفيديوهاث مع بداية الحرب.

وقد ازادت الدهشة أكثر، فعلى الرغم من قيام الحرب عن المركز قائماً بنشاطاته المتنوعة والكثيرة. عاد الوفد إلى فرنسا وأرسل لي ٤ فيديوهاث تمّ عرضها على القنوات الفرنسيّة من لقاءاتهم، بكلام جميل عن سورية وعن هذا الصرح الثقافي الفني، وعنت أمل أن نترجم هذه الفيديوهاث ونعرضها هنا في سورية. تأتي أهمية هذه الزيارة كوننا في حرب، وزيارة هذا الوفد كان إبعاد مزروجة ما بين ثقافية وسياسية، وأيضاً هناك موانع اقتصاديّة من نشوء مثل هذه المشاريع في أوقات الحرب، وبالتالي كانت هذه الزيارة مهمّة ومنتجة، ويبدو أن من نتاجها هو التحضير لزيارة جديدة إلى سورية، وذلك بسبب الطابع المهم الذي أخذوه عن زيارة المركز الوطني للفنون البصريّة.

● هل تعتقد بأن مثل هذه الخطوات ستلغي القطعيّة التي تمتّت بين سورية ودول مهمّة مثل فرنسا وغيرها؟
القطعيّة أثرت على الناس كثيراً، وقد تحدّثت أثناء الجلسة الحواريّة مع الوفد الفرنسي في هذا الشأن، وقلت على سبيل المثال أن هناك قوانين صارمة تمنع أي شيء يرسل إلى سورية، حتى الأدوات الفنيّة؛ ولذلك تمّ إرسالها إلى لبنان، وبالتالي كانت النتيجة تأثرهم معنا، ما جعلهم يقترحون علينا أن نكتب قائمة بكلّ المواد التي يحتاجها المركز، كي يرسلوها إلينا مباشرة من فرنسا إلى سورية، وبالتالي هذه نقطة جيدة لتوضيح ما تفعله القطعيّة بالثقافة والشعوب.

● لماذا لا يتمّ تسليط الضوء على نشاطات المركز على الرغم من إقدامكم على ذلك؟

على الرغم من النشاطات الكثيرة في المركز، وزيارة الناس للمكان بصورة مكثّفة، إلا أن هناك سبباً أساسياً في عدم انتشار الصورة التي تليق بالمركز، فنحن كإدارة نعمل بهدوء واجتهاد على كل النشاطات في المركز ولا نحتاج إلى صورة زاهية فاقعة عما نقوم به، بل لدينا ثقة بأن العمل الجيد سيذهب بصيته إلى كل الأرجاء.

● هناك نقطة أخرى بأنه حتى الظهور على الشاشات كان قليلاً جداً، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى

أهداف المركز الوطني للفنون البصريّة في دمشق

- ١- إحياء حركة الفنّ التشكيلي الإبداعي وتفعيلها بما يتماشى مع إيقاع الألفية الثالثة، والتواصل مع الحركة التشكيليّة.
- ٢- تسخير فنّ البصريّات للثقافة، والتربيّة الاجتماعيّة، والصحيّة، بإقامة معارض تحوّ بهذه الاتجاهات، والعمل مع الوزارات المنيّة.
- ٣- إعادة إنماء الذاكرة الجمعيّة للفنّ التشكيلي السوري.
- ٤- توثيق الروابط بين الهيئات الفنيّة المختلفة الوطنيّة، والدوليّة.
- ٥- البحث عن المواهب بين الفنانين الشباب، والعمل على تبيّنهم، ودعم، وتطوير ملكاتهم الفنيّة، وذلك بإلحاقهم بورشات العمل التابعة لنشاط المركز.



لوحة الولادة من أهم أعمال غيات الأخرس



مركز الفنون البصريّة ومقتنياته

